لدى الصهيونية أي خطة محددة لحل المشكلة العربية، فمن المؤكد، أيضاً، انه لم يكن لديها برنامج موجّه بصورة واعية ضد العرب كما يتخيّله الاخيرون»(١٦).

المأزق من خلال الحرب والسلام

قلنا ان اسرائيل تتكيّف بالسكونية التي تؤمّن لها تمرير المرحلة. وهذه السكونية يمكن تمثيلها، على المستوى الواقعي، باللاحرب واللاسلم، حيث ان هذه الحالة هي أفضل الحالات بالنسبة الى اسرائيل، لأنها تستطيع ان تغطي الانكشاف الذاتي لمأزق الوجود، حيث تصوّر الحالة لاسرائيل انها المستفيد الاكبر من مرور الزمن، ومن التقادم. وهذه الحقيقة تطرق اليها هورورفيتس عندما كتب: «ان مخططي نظرية أمن اسرائيل ليسوا اتباعاً لمدرسة الدراسات الاستراتيجية الاميركية، بل انهم سبقوها في تبنّي الفرضيات المتّصلة بأوضاع الصراع، وعملوا على تعتيم الحدود بين الحرب والسلم... ان الدروس المستفادة من الحروب التي كانت اسرائيل بدأتها قبل عملية ' سلامة الجليل ' ، والتي كانت هذه الدولة تتعرّض فيها لتهديد مباشر، لم تشجّع على تبنّي الاهداف السياسية المقررة مسبقاً للحرب. وقد قدمت حملة سيناء مكاسب معيّنة الى اسرائيل، على الرغم من فشلها في تحقيق اهدافها الاكثر بعداً... وقد تمثّلت هذه الانجازات في استقرار وضع اللاسلم واللاحرب»(١٧).

ان وضعية اللاسلم واللاحرب هي الوضعية السكونية المثلى لاسرائيل. فهي تكرّس الوجود بمقتضى وزنه العسكري، مغفلة ابعاد الوجود الاخرى، الاقتصادية والسياسية والتاريخية.

لقد استفادت اسرائيل، الى ابعد الحدود، من وضعية اللاحرب واللاسلم. ولكن، مهما بدت لنا هذه الفائدة كبيرة، فانها، في ظل حسابات موازين القوى وحسابات الاوضاع التاريخية، قد أفادت العرب أيضاً. ونستطيع القول، ان الفائدة من هذه الوضعيّة قد تبدو استراتيجية بالنسبة الى الجانب الاسرائيلي، بينما هي لا تعدو، في الواقع، الاّ ان تكون تكتيكية بهدف تمرير المرحلة. امّا من الناحية العربية، فهذه الوضعية، مهما بدت قاسية، فانها، حتى ولو أجّلت عملية الانكشاف البنيوي لاسرائيل، فانها تذهب الى ان تخدم ما هو استراتيجي في الصراع العربي ـ الاسرائيلي، متمثلاً في تأخير الصراع. وهذا التعاكس بين ما يظهر بشكل مباشر وما هو في حقيقة الامر فعلاً يشكّل الصورة الغائبة عن الوعي الاستراتيجي المطلوب في ادراك الصراع وابعاده.

وواقع الحال، ان هذه الوضعية، اذا كانت بالنسبة الى العرب ممكنة الاستمرار على المدى الزمني الطويل دون ان يكون في ذلك خطر كبير، فان الاحداث اثبتت ان اسرائيل، على الرغم من الفائدة الآنية التي تجنيها من هذه الوضعية، فانها لا تستطيع ان تستمر فيها الى أبعد الحدود، خاصة اذا عدنا الى تجربة الانتفاضة التي اثبتت انها لغم داخلي تنام عليه هذه الدولة الهجين، متصوّرة انها تنام في ارتياح. ولهذا، فان اسرائيل تلجأ، غالباً، الى القفزات التي سمّيناها (الحركيات النبضيّة)، وهي محاولات للتحريك المؤقت للاحداث، سواء عبر الحروب بصيغتها الخاطفة، أو عبر محاولات السلم في المجال الضيّق.

ان الحروب الواسعة كما السلم المطلق يكشفان هزال تجربة المشروع الاسرائيلي في المنطقة العربية. ولكن الحروب أكثر خطراً بالنسبة الى اسرائيل من السلم؛ لذلك، فان القائمين على التعامل مع السياسة الاسرائيلية كثيراً ما تجنّبوا الحروب الواسعة. ذلك ان الحروب الواسعة تعني